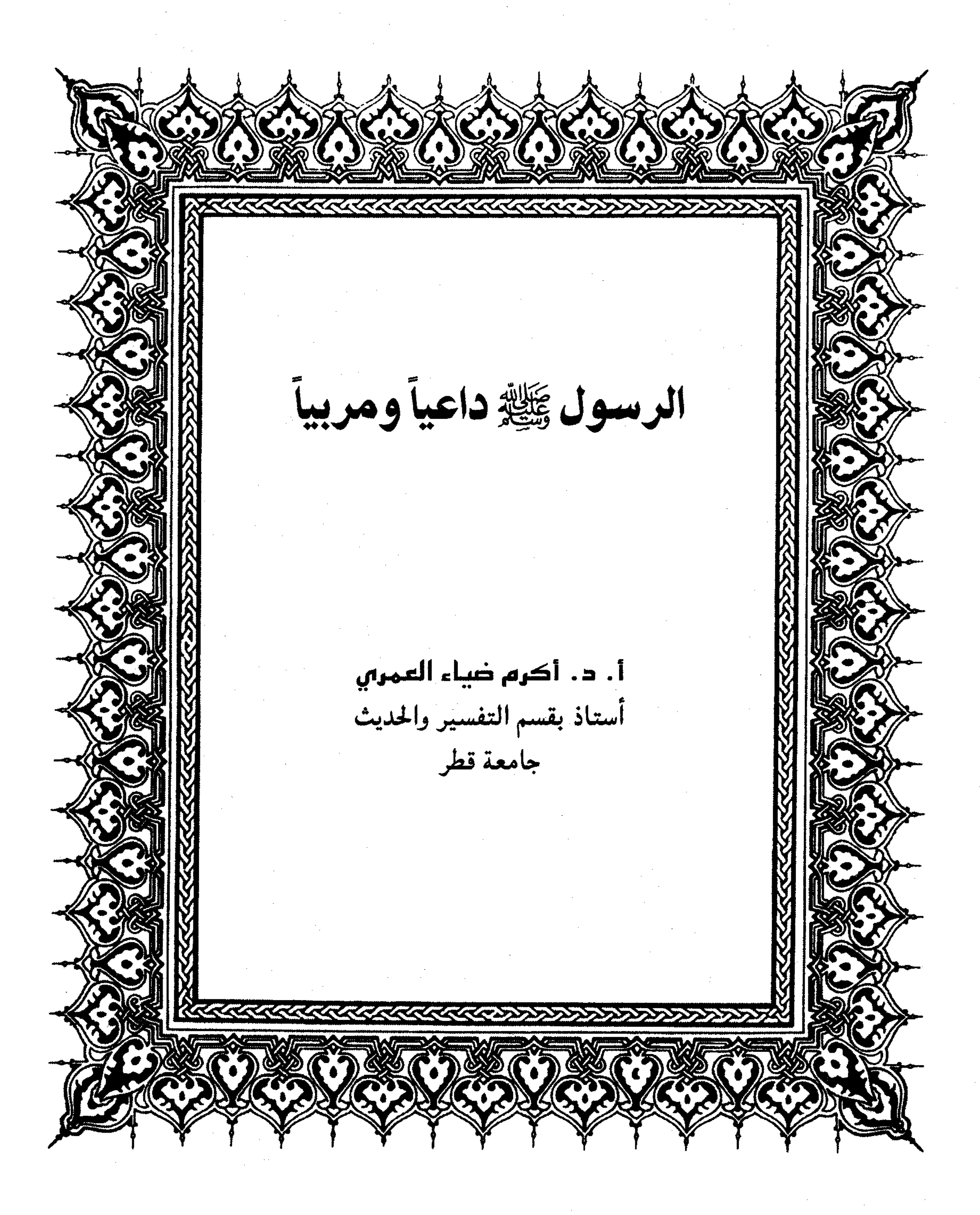


الرسول ﷺ داعياً ومربياً

أ. د. أكرم ضياء العمري
أستاذ بقسم التفسير والحديث
جامعة قطر

كان شغله الشاغل صلى الله عليه وسلم هو الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده بالألوهية والربوبية، والتعريف بشرعه في العبادات والمعاملات، وتربية الناس على المعاني الإيمانية، والأخذ بأيديهم في التطبيق والسلوك الإسلامي الرفيع، وقد علّمه الله تعالى أساليب الدعوة الناجحة، ووسائلها المشروعة، وغاياتها الشريفة، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته في الدعوة إلى الله وتربية الناس وفقها.

١ ـ الحكمة في التبليغ :

سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الطرق الحكيمة في الدعوة استجابة لأمر الله تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[١]. فلم يعمد إلى سبِّ آلهة المشركين، بل اكتفى بإيضاح أنها لا تضر ولا تنفع، وأن العبادة الصحيحة إنما تكون لله وحده لا شريك له، وهكذا دعاهم إلى البراءة من الوثنية، وكان منهجه مستمداً من قوله تعالى: ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾[٢].

وكان يحصر همَّه الأول في بيان التوحيد، فإذا شهد المدعو بوحدانية الله وضح له بقية جوانب الإسلام، فإن من يشهد بالألوهية يتقبل تعاليم الله تعالى وأوامره ونواهيه جملة وتفصيلاً، وعندها لا يحتاج إلى مزيد من التعليل وبيان الحكمة ومحاولة الإقناع في كل صغيرة وكبيرة من أحكام الإسلام وآدابه، لذلك كان الهم الأول هو إقناع المدعوين بتوحيد الله وطاعته.

ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على المدعوين أحكام الإسلام عقيدة وشريعة وآداباً دفعة واحدة، فلاشك أنهم سيثقل عليهم الأمر ويستصعبونه لكنه كان يعرض عليهم الإسلام بيسر وسماحة، ويبني عقيدتهم وأخلاقهم بالتدريج، حسب القاعدة التي أوضحها: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[٣].

ومن الحكمة التركيز على قادة الرأي وزعماء القوم رغم توجيه الخطاب للجمهور، فإن إسلام القادة والزعماء وأصحاب العقول الكبيرة ووجهاء المجتمع يؤدي إلى سرعة انتشار الإسلام، وإذا تأملنا في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعثمان وطلحة وخالد بن سعيد بن العاص لأدركنا أنه توسَّم منهم الخير، فهم من خيرة شباب

---

(١) النحل ١٢٥.

(٢) الأنعام ١٠٨.

(٣) صحيح البخاري، إيمان ٢٩.

قريش، ولهم من حسن السمعة والسمت والنبل ما يجعلهم موضع تأثير وقدوة.. كما حاول كثيراً مع زعماء مكة وزعماء القبائل الأخرى، لكنه بالطبع لم يغفل الجمهور من المستضعفين مثل صهيب وعمار وبلال...

وكان يُرغِّب الناس في الإسلام، فيبين لهم أهمية السبق إلى دين الله، ويبشرهم بغلبة الإسلام. قال لذي الجوشن الضبابي: «ياذا الجوشن ألا تسلم فتكون من أول أهل هذا الأمر؟». وهذا بعد النصر ببدر مباشرة، فأبى ذو الجوشن الإسلام حتى يغلب المسلمون على مكة، فأمر رسول الله بلالاً بأن يزدوه بالتمر(٤).

وقد أثر إحسانه وحسن جداله في كثير من أصحاب العقول من المدعوين، فلما أغارت خيل المسلمين على ديار طيء فرَّ عدي بن حاتم، وأسرت عمته، فطلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمّن عليها وذكرت صلتها بحاتم، فمنَّ عليها وأطلق سراحها، وزوَّدها بدابة تركبها، فذهبت إلى حاتم فقالت: إيتِه راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه. فقدم عليه عديٌ فرأى قربه امرأة وصبيان، وعبَّر عن انطباعه بقوله: فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر!. وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عدي بن حاتم ما أفرَّك؟! أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله؟ ما أفرَّك؟! أن يقال الله أكبر، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟»، فأسلم عدي واستبشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلاحظ أنه تأثر بالإحسان، وبالتواضع، وبحسن المجادلة، وبلاغة الخطاب(٥).

وكان يعلم أحوال المدعوين وحاجتهم، فيربط بين الدعوة وواقعهم، وهذا أحرى باهتمامهم وإقبالهم لما جبل عليه الإنسان من حب المصالح لنفسه ولقومه، فلما قدم أبو المَيْسر أنس بن رافع مكة ومع فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على الخزرج، أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هل لكم إلى خير مما جئتم له؟» قالوا: وماذاك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، ونزَّل عليَّ الكتاب...» ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ ـ وكان غلاماً حدثاً ـ: «أي قوم، هذا ـ والله خير مما جئتم له. ورغم أن الوفد لم يستجب للدعوة فقد كانت مهمتهم تحقيق التحالف ضد الخزرج، لكن إياساً بقي بعد عودتهم إلى المدينة يهلل الله، ويكبره،

(٤) الهيثمي: مجمع الزوائد ٦ : ١٦٢ وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٥) سنن الترمذي ٥ : ٢٠٣ رقم ٢٩٥٣ وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، ومسند أحمد ٤ : ٣٧٨ واللفظ لأحمد.

ويسبحه، حتى مات، فما يشكون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سّمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع[٦].

ومن حكمته صلى الله عليه وسلم في الدعوة حرصه على الاتباع، وعدم زجهم في التهلكة، وخاصة عندما كان عددهم قليلاً وعدوهم كثير، فإنه حرص على عدم الصدام مع مشركي قريش، وأمر أتباعه ألا يحملوا السيف ضد خصومهم وأن يتجهوا إلى الإعداد الروحي والمادي، فكان يأمرهم باحتمال الأذى والصبر على المكاره وضبط النفس أمام استفزاز الكفار، ويضرب لهم الأمثال من الأمم قبلهم وكيف صبروا على الابتلاء، وكان الشعار في المرحلة المكية: ﴿ كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ﴾[٧].

٢ ـ التركيز على الأصول دون إغفال الفروع:

إن تعاليم الإسلام كثيرة تشتمل على أحوال الدنيا والآخرة، وأحكام الشرع منها الواجب والمندوب ومنها الحرام والمكروه، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم سعة الدين ومتانته فقال: «إن هذا الدين متين ولن يشادّ هذا الدين أَحَدٌ إلا غلبه».

ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبدأ بالدعوة إلى التوحيد الخالص، ثم العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة فهي أركان الإسلام الخمسة، حيث لا يصح الإسلام إلا بالإيمان بها والقيام بأدائها حسب شروطها.

وأما الفروع كالسنن المندوبة، ومكارم الأخلاق، والورع، فكان يبين ذلك حسب الظروف والأحوال وبصورة تديجية، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن باتباع أسلوب التركيز على الأصول فقال له: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[٨].

ومن الأمثلة في دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الأصول أولاً ـ وإن ذكر بعض الفروع ـ قوله لبني عبد قيس بعد أن رحب بهم وسألوه عن مجمل الدين قائلين: يا

(٦) الهيثمي: مجمع الزوائد ٦ : ٣٦ وقال: أخرجه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.
(٧) النساء ٧٧.
(٨) صحيح البخاري (فتح الباري ٣ : ٢٥٧ حديث رقم ١٤٩٦).

رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فحدثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو إليه من وراءنا. قال: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله، شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من الغنائم الخُمس. وأنهاكم عن أربع: ما ينتبذ في الدباء، والنقير، والحنتم، والمزفت»[٩].

وهكذا أجمل لهم الدعوة بذكر الأركان وأضاف إليها أحكام الآنية حيث أنهم سألوه عنها لحاجتهم إليها كما تبين الروايات الأخرى.

إن القرآن نزل أولاً بالأصول العقدية من التوحيد والإيمان بالبعث والجنة والنار، وبعد الهجرة إلى المدينة نزل بالأحكام الموضحة للحلال والحرام، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني جارية ألعب: «بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر» وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده...»[١٠].

٣ ـ الصبر على مشاق الدعوة:

اصطدمت الدعوة الإسلامية بالواقع الجاهلي بصورة شاملة، ففي عالم العقيدة كان الشرك وعبادة الأصنام والأوثان عميقة الجذور، واتخذت الكعبة مقراً هاماً للوثنية، وكانت تحقق مزايا كبيرة لقريش من الناحية المعنوية باعتبارها حامية الكعبة والمشرفة على الطقوس الوثنية والقائمة على أمور مكة، فكانت تحظى باحترام قبائل العرب الأخرى بسبب مكانتها الدينية، مما يوفر الأمن لها داخل مكة، ولتجارتها خارجها على الطرق الهامة إلى الشام واليمن، وكان اجتماع القبائل بمكة لأداء الطقوس الوثنية يصحبه تبادل تجاري بين نتاج البادية وسلع الحاضرة مما يحقق ازدهاراً اقتصادياً لقريش.

وكان الملأ من قريش يدركون مصالحهم ومدى ارتباطها بالوضع القائم في مكة عقدياً واجتماعياً واقتصادياً، وقد بدت لهم خطورة الدعوة الإسلامية كبيرة إذ هي تهدد الميراث العقائدي والوضع الاجتماعي القائم. وهكذا ما إن انتشر الإسلام بين العشرات

---

(٩) صحيح البخاري (فتح الباري ٦ : ٢٠٩ حديث رقم ٣٠٩٥). وهذه الأربع آنية لها أثر كبير في جودة الخمر، الدباء: القرع، والنقير: خشبة تنقر فيتخذ فيها نبيد التمر ونحوه، والحنتم: جرار حمر أو خضر تحمل فيها الخمر، وأما المزفت: فهي أوعية مطلية بالزفت.

(١٠) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن ٤ : ١٩١٠.

من المكيين حتى بدت مقاومة الملأ تشتد، وتتخذ أساليب متنوعة، ما بين الدعوة المضادة والتي تسعى إلى تشويه سمعة الدعوة الإسلامية والنيل منها، وما بين إلحاق الأذى بالمستضعفين من المؤمنين، وأحياناً إلحاق الأذى المادي بالأحرار بمن فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أجمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحمل من الشدائد والأذى في سبيل الدعوة إلى الله بقوله: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال ما يأكله ذو كبد، إلا ما يواري إبط بلال»[11].

وقد اتخذ الأذى صوراً شتى من السب العلني والأذى المادي، فلما اجتمعت قبائل العرب مرة في سوق ذي المجاز، مضى إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه وعمه أبو لهب وراءه يصيح: إنه صابىء كاذب!![12].

وقد وردت رواية من طرق تعتضد ببعضها لإثبات الحدث تأريخاً تقول إنه لما نزلت «تبَّت يدا أبي لهب» أقبلت أم جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب، وهي تنشد: مُذمَّم أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فسألت أبا بكر إن كان النبي قد هجاها، فنفى ذلك[13].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرح لأن المشركين يسبون مذمماً، يقول: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد»[14].

ويحكي شاهد عيان هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه. وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام ـ وهي جويرية ـ فأقبلت تسعى، وثبت النبي صلى الله

(١١) سنن الترمذي ٤ : ٦٤٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(١٢) مسند أحمد ٤ : ٣٤١، والهيثمي: مجمع الزوائد ٦ : ٢٢.
(١٣) أخرجه الحميدي : المسند ١ : ١٥٣ - ١٥٤، وأبو يعلي: المسند ١: ٣٣ - ٣٤، والحاكم: المستدرك ٢: ٣٦١.
(١٤) صحيح البخاري (فتح الباري ٦ : ٥٥٤ - ٥٥٥).

عليه وسلم حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»، ثم تسمَّى: «اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد». قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فو الله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[١٥] - قليب بدر - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»[١٦].

وقد بينت الروايات الصحيحة الأخرى أن الذي رمى الفرث عليه هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرّضه هو أبو جهل[١٧]، وأن المشركين تأثروا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشقَّ عليهم الأمر، لأنهم يرون أن الدعوة بمكة مستجابة[١٨].

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش لما كذبوه واستعصوا عليه فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة فحصت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود، وجعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع. فأتى أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. وقد أثبت القرآن هذا الحادث فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ إلى قوله تعالى «عائدون»[١٩]. فلما دعا ربه لهم آملاً توبتهم عادوا إلى كفرهم ونسوا ما حكاه القرآن على لسانهم قالوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾[٢٠].

ويرى الحافظ الدمياطي أن ابتداء دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش بذلك كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور[٢١]. ولكن من المهم أن نلاحظ أن دعوته عليهم كانت بسبب تكذيبهم إياه واستعصائهم على الإيمان، وليس بسبب إيذائهم له، فطالما احتمل أذاهم ولم يدع عليهم، بل دعا لهم بالهداية مما يصلح مثلاً أعلى في الصبر على الدعوة واحتمال المدعوين وإن آذوا أصحاب الدعوة في أموالهم ومصالحهم وأنفسهم.

---

(١٥) القليب: البئر المفتوحة.

(١٦) رواه البخاري (فتح الباري ١ : ٥٩٤)، ومسلم: الصحيح ٣ : ١٤١٨ - ١٤٢٠.

(١٧) صحيح البخاري (فتح الباري ٦ : ٢٨٣ و ٧ : ١٦٥)، وصحيح مسلم ٣ : ١٤٢٠.

(١٨) فتح الباري ١ : ٣٤٩.

(١٩) صحيح البخاري ٢ : ١٥، ١٩ و ٦ : ٣٢، ١٩، ٣٩، ٤٠، ٤١، وصحيح مسلم ٤: ٢١٥٥ ـ ٢١٥٧، وانظر الآيات من سورة الدخان ١٠ ١٥.

(٢٠) صحيح البخاري ٦ : ٣٩، ٤٠، وصحيح مسلم ٤ : ٢١٥٧.

(٢١) ابن حجر: فتح الباري ٢ : ٥١١.

وكان المشركون إذا سمعوا القرآن يجهر به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بأصحابه مستخفياً يسبون القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فأمره الله تعالى أن يتوسط بالقراءة بحيث يسمعه أتباعه دون المشركين، قال تعالى: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾(٢٢).

إن حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة في المسجد الحرام أدى إلى الاحتكاك بالمشركين مراراً، ولعله حرص على إظهار شعائر الإسلام، واحترام الكعبة، ولقاء الناس لأغراض الدعوة. ومن هنا حاول المشركون تفويت هذه الأغراض عليه بمضايقته وإيذائه دون التورع عن ذلك حتى وهو يسجد لله تعالى في صلاته!!.

إن التهديد بالأذى وبالقتل على لسان زعماء المشركين لم يكن ينقطع في مرحلة الدعوة العلنية، بل كان يتصاعد ويشتد مع الأيام، فمرة «قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»(٢٣).

لقد خلّد القرآن هذا الحدث فقال تعالى: ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى. إن إلى ربك الرجعى. أرأيت الذي ينهى. عبداً إذا صلى. أرأيت إن كان على الهدى. أو أمر بالتقوى. أرأيت إن كذب وتولى. ألم يعلم بأن الله يرى ﴾(٢٤). ولعله في هذه المرة نفسها جاءه أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن نهر أبا جهل وغلظ له القول، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني. فأنزل الله: ﴿ فليدع ناديه. سندع الزبانية ﴾(٢٥).

---

(٢٢) الإسراء ١١٠، والحديث أخرجه البخاري (فتح الباري ١٠: ١٩)، وصحيح مسلم ١ : ٣٢٩.

(٢٣) صحيح مسلم ٤: ٢١٥٤ من حديث أبي هريرة، وله شاهد من حديث ابن عباس مختصر أخرجه البخاري (فتح الباري ٨: ٧٢٤). وأما تكملة الخبر في مستدرك الحاكم ٣: ٣٢٥، ومسند البراز (كشف الأستار ٣ : ١٣٠) ففي سنده عبد الله بن أبي فروة «متروك».

(٢٤) العلق ٦ - ١٤، وثمة احتمال أن يكون الخبر عن سبب نزول الأيات من حديث أبي هريرة متصلاً (صحيح مسلم ٤:٢١٥٤، ومسند أحمد ٢: ٣٧٠) ويقوى بشواهده كما في سنن الترمذي ٥ : ٤٤٣ - ٤٤٤، وتفسير الطبري ٢٥٦:٣.

(٢٥) سنن الترمذي ٥ : ٤٤٣ - ٤٤٤ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. والآيتان من سورة العلق ١٧ - ١٨. وانظر الألباني: السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٥ حيث قال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد سأل عروة بن الزبير عبد الله بن عمرو بن العاص: «أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم؟. قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾[٢٦]. وكان عمرو بن العاص والد عبد الله شاهد عيان للحادثة، والغالب أنه سمع الخبر منه[٢٧].

وكانت السخرية والاستهزاء من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته أحد الأساليب التي اتبعها المشركون في الحرب الكلامية لصرف الناس عن الدعوة، فكان أبو جهل يقول ساخراً: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم!!. فنزلت الآية: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام... ﴾[٢٨].

وقد ختم المشركون أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكية مما كان سبباً مباشراً للهجرة. قال ابن عباس: «إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام واحد، فلم نفارقه حتى نقتله. فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها فقالت: هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك. قال: «يا بنية أدني وضوءاً» فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هذا هو. فخفضوا أبصارهم، وعقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم، ولم يقم منهم رجل. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: «شاهت الوجوه». قال: فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قد قُتل يوم بدر كافراً»[٢٩].

---

(٢٦) صحيح البخاري (فتح الباري ٨ : ٥٤٤ و ٧ : ٢٢، ١٦٥)، وابن إسحق: السير والمغازي ٢٢٩ - ٢٣٠ بإسناد حسن مطولاً، والآية من سورة غافر ٢٨.

(٢٧) مصنف ابن أبي شيبة ١٤ : ٢٩٧ بإسناد حسن، وتفسير النسائي رقم ٤٧٧، وتغليق التعليق ٤ : ٨٧.

(٢٨) صحيح البخاري ٥ : ١٩٩ كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وإذ قالوا اللهم.. ﴾، وباب قوله «وما كان الله ليعذبهم...»، وصحيح مسلم ٤ : ٢١٥. والآيات من سورة الأنفال ٣٣.

(٢٩) مسند أحمد ١ : ٣٠٣، ٣٦٨ بإسنادين صحيحين.

٤ ـ المنهج التربوي الإلهي الذي بعث به وطبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صياغة الإنسان:

أ ـ أسسه:

يقوم المنهج الإسلامي التربوي على أسس ثابتة أهمها:

١ ـ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره من الله تعالى.

فالتربية الإسلامية تهتم بتوحيد الله، والتعريف بأسمائه وصفاته، وتغرس محبته وخشيته وخوفه ورجاءه في نفوس البشر، وتعودهم على العبادة والطاعة لله تعالى وفق ما جاء في القرآن والسنة دون ابتداع جديد في العبادة.

ثم التعريف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وما يقتضيه الإيمان بنبوته من دراسة سيرته ومعرفة سننه والالتزام بالاقتداء به، وعدم التقدم عليه في قول أو عمل، والتسليم لأوامره وتوجيهاته، وعدم رد أحاديثه إذا صحت نسبتها إليه.

والإيمان بما أخبرنا الله به في القرآن وما عرفنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخبار الأنبياء والرسل السابقين.

ثم الإيمان بالقضاء والقدر، قال الإمام الزهري: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن وحَّد ولم يؤمن بالقدر كان ذلك ناقضاً لتوحيده»[٣٠]. وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإيمان بالقدر لا يجب أن يقعد المسلمين عن العمل حين سألوه: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ـ أي ما كتب الله لنا ـ وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خُلِق له». وقال: «أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيسرون لعمل أهل الشقاوة»[٣١].

٢ - العلم:

يقوم المنهج التربوي الإسلامي على العلم، فيرفع قيمة العلم والعلماء، ويعد بالأجر العظيم على طلب العلم، قال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾[٣٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٣٣].

---

(٣٠) سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٤٣.

(٣١) صحيح مسلم، كتاب القدر ٤ : ٢٠٣٩، ٢٠٤٠ واللفظ له، وانظر صحيح البخاري ٧ : ٢١١.

(٣٢) المجادلة ١١.

(٣٣) صحيح البخاري ١ : ٢٧، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة ٩٨، ١٠٠.

ويعتبر العلم الشرعي أسمى العلوم لتعلقه بمعرفة الله وأوامره ونواهيه، وبيان مكان الإنسان في العالم ومسؤوليته الدنيوية والأخروية، ومعرفة غاية وجوده ومصيره بعد موته.

ثم تأتي العلوم الطبيعية من فلك وطب ورياضيات وهندسة وكل متطلبات الحضارة الراقية الأخرى فإنها من فروض الكفايات، يلزم أن يقوم بها جمع من المسلمين، فإن لم يقم بها أحد لحق الإثم الأمة جميعاً، وذلك لأن الله تعالى أمرنا بإعداد القوة لمواجهة أعداء الإسلام فقال: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾(٣٤) ولا يكون المسلمون أقوياء عسكرياً إذا لم يكونوا أقوياء علمياً واقتصادياً واجتماعياً إذ القوة هي مجموع القدرات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ولا يمنع المنهج من أخذ العلم الطبيعي من غير المسلمين، ولكنه يلزم بأخذ العلوم الشرعية والعلوم التربوية المبنية على الكتاب والسنة من المسلمين.

٣ ـ العدل والمساواة:

وهو الأساس الثالث لمنهج التربية الإسلامية، والمقصود به تحكيم الشرع في أمور الخلق على وجه المساواة بينهم، الكبير والصغير والغني والفقير والقوي والضعيف... فالمنهج يؤكد وحدة الأصل الإنساني، وتكافؤ الفرص أمام الجميع في طلب العلم، وفي الارتقاء في سلم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فليس هناك سقف طبقي أو تمييز عنصري يقوم على أساس اللون أو العرق بل إن المسلمين جميعاً سواسية كأسنان المشط، وكلهم لآدم وآدم من تراب، وهذه النظرة التربوية العادلة تحقيق للأمر الإلهي ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾(٣٥). فالعدل نتيجة لإقرار مبدأ المساواة بين الناس، وإعلان الأخوة بينهم ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾(٣٦)، وقد حرم الله الظلم «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا»(٣٧).

يقول ابن تيمية رحمه الله: «عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وإن الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، ذلك لأن العدل نظام كل شيء»(٣٨).

---

(٣٤) الأنفال ٦٠.

(٣٥) النحل ٩٠.

(٣٦) الحجرات ١٠.

(٣٧) صحيح مسلم ٤ : ١٩٩٤ حديث رقم ٢٥٧٧.

(٣٨) الحسبة في الإسلام ٥٣.

لقد كانت غضبة رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدة عندما شفع أسامة بن زيد لامرأة مخزومية سرقت، فقال موضحاً: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[٣٩].

٤ ـ الشورى :

يهتم منهج التربية الإسلامية بتنشئة الأجيال على حب الشورى وممارستها، منذ مراحل التكوين الأولى لأن الله تعالى وصف المؤمنين بقوله: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾[٤٠]. ولا يخص الوصف الحياة السياسية فقط، وإنما يسري على الحياة الإسلامية بكل نواحيها، كما يسري على الجوانب التربوية، فإن الطفل ينبغي أن يمارس الشورى ويتعود على التفكير بالمشكلات القريبة منه وإبداء الرأي فيها، كما ينبغي أن يعود على احترام آراء الآخرين ومناقشتها مادامت لا تخرج عن دائرة الشرع وأحكام الإسلام.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو المعصوم والمؤيد بالوحي ـ يكثر مشاورة أصحابه حيث أمره الله تعالى بذلك ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾[٤١].

ويفسح الإسلام لاختلاف الرأي مجالاً رحباً على أن يكون داخل دائرة الشريعة، ويمكن أن تظهر مجموعة معارضة للحاكم تمارس النقد لآرائه في حدود النصيحة والأدب مقتصرة على بيان الحكم الراجح عندها وإظهار المصلحة أو المفسدة دون جرح للأشخاص أو تشهير بالحكومة كما يحدث في النظام الديمقراطي، لأن مراد المعارضة في النظام الديمقراطي الوصول إلى الحكم، فقط تعارض ما هو صحيح أحياناً رغبة في إضعاف الحكومة وانتقال مؤيديها إلى صفوف المعارضة، أما المعارضة الإسلامية فتتعاون مع الحكومة فيما يحقق أهداف الإسلام في الحياة، وتعترض عليها للبيان والنصيحة والوصول إلى الحق والمصلحة، لأن الحكومة والمعارضة يخضعان للشريعة ويتعاملون وفق آداب الإسلام وضوابطه للسلوك الخاص والعام.

٥ ـ النظام والطاعة بالمعروف :

يهدف المنهج التربوي الإسلامي إلى تطبيق النظام الإسلامي في الحياة، وهو يعود الناس على الالتزام بالنظام، إذ أن مشرعه هو الله تعالى، فليس في الخضوع له إذلال

(٣٩) صحيح البخاري ٣ : ١٢٨٢.
(٤٠) الشورى ٣٨.
(٤١) آل عمران ١٥٩.

لأحد، فالبشر جميعاً مأمورون باتباع هذا النظام الإلهي، وكل الأنظمة التي يختارها الحاكم المسلم لتسيير الحياة بعد مشاورة المؤمنين، تعتبر نظماً ملزمة لأفراد المجتمع لأنها تحقق المصالح العامة وتهدف إلى الارتقاد بالحياة وتحقق العدل والمساواة، ولا يحق لأحد مخالفة النظام إلا إذا كان مخالفاً للكتاب والسنة.

ومن الصعب أن يطلب حاكم مسلم في ظل نظام شورى من المسلمين أن يخالفوا الكتاب والسنة، لأن مهمته الأولى هي القيام على تطبيق الشرع وما يصاحب هذا التطبيق من المصالح العامة للأمة، حيث أن مقاصد الشريعة مبنية على تحقيق المصالح للعباد. وقد وضع الشارع عقوبات لمن يخرق حرمة المجتمع ويعبث بمصالح الأمة ويرتكب الكبائر على حساب الآخرين، وجاءت العقوبات والحدود رادعة للذين لا ينفع معهم التوجيه التربوي.

٦ ـ المسؤولية:

يربِّي المنهج الإسلامي اتباعه على الشعور بالمسؤولية تجاه أنفسهم بإقامتها على الحق، وطاعة الله ورسوله، وأداء الفرائض، واجتناب الكبائر وسائر المعاصي والارتقاء في السلوك إلى درجة الإحسان. كما يجعلهم مسؤولين عن الآخرين بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومعاونتهم على البر والتقوى، ومواساتهم بالمال والكلمة الطيبة، ومحبتهم والبشاشة في لقائهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعايته، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...»(٤٢).

وكل مكلف مسؤول يحاسب عن أعماله في الدنيا إذا وقع منه ما يستوجب الحد أو التعزيز، وفي الآخرة كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(٤٣).

ب ـ غايته وأهدافه:

يهدف المنهج التربوي الإلهي إلى تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وتحرير الإنسان من عبودية غير الله، وهذا الهدف لا يتحقق بصورة واسعة إلا عندما يبلغ الوعي الإنساني مداه، فيفهم مراد الله ورسوله فهماً صحيحاً، وعندها يتحرر من الخوف

---

(٤٢) صحيح البخاري ١ : ٣٠٤.

(٤٣) سنن الترمذي ٤ : ٦١٢ بإسناد صحيح.

والخضوع للطبيعة وقواها، ومن سيطرة الأهواء والشهوات على نفسه، ومن العبودية لغير الله أياً كانت، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[٤٤].

لذلك فالمنهج التربوي الإسلامي يغرس المعاني المؤدية إلى تحقيق العبودية لله، والانعتاق من عبودية غيره، ولن يتحقق ذلك إلا بالإيمان العميق بأن الأجل يحكم العمر، وأن الإنسان لا يموت حتى يستوفى أجله المكتوب، ولا يحيا إذا انتهى أجله مهما اتخذ من أسباب الحماية والاحتراز، قال تعالى: ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾[٤٥]. وكذلك فإن الإنسان لا يموت حتى يستوفى رزقه الذي كتبه الله له، قال تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾[٤٦]. لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجملوا في طلب الدنيا، فإن كلاً ميسر لما خُلِقَ له»[٤٧].

فإذا اعتقد الإنسان بأن حياته ورزقه وكل ما يصيبه من خير وشر مكتوب لا قِبل لأحد في تغييره، فإنه يتجه بالعبادة والطاعة لمن بيده الأمر كله، لله رب العالمين، ويتحرر من الخوف والرجاء للمخلوقات.

جـ ـ أخلاقياته:

يؤكد المنهج التربوي الإلهي على الأخلاق الحسنة، ففي الحديث النبوي «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٤٨]. «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[٤٩]. «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»[٥٠].

ومعايير الأخلاق في الإسلام واحدة، وهي مطلقة لا تتغير نتيجة التطور الحضاري لأن مصدرها الكتاب والسنة، فهي تستند إلى أدلة ثابتة، خلافاً للقيم الخلقية في الحضارة الغربية والتي تتسم بالنسبية والتطور لأنها تستمد قوتها من المجتمع نفسه ممثلاً بالبرلمان، فهم يغيرون القوانين تبعاً لاجتهادهم العقلي ورغبات الأكثرية من الناس.

(٤٤) الذاريات ٥٦.
(٤٥) النساء ٧٨.
(٤٦) هود ٦.
(٤٧) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٥٩٧.
(٤٨) المصدر السابق ٤٥.
(٤٩) أبو داود: السنن ٥ : ٦٠.
(٥٠) (الألباني: السلسلة الصحيحة ٢ : ٣٩٠.

ويعتبر غرس الفضيلة والقيم الخلقية وتزكية النفس الإنسانية من أهم ما يهدف إليه المنهج التربوي الإلهي، والقرآن والسنة يفصِّلان تلك القيم والأخلاق من التواضع والصدق والوفاء بالعهد والأمر بالعدل والتعاون على البر والتقوى الصبر والحياء والاستقامة والأمانة والنهي عن التكبر والعجب والبخل والرياء والفخر والكذب والظلم والإسراف وعدم شهادة الزور وعدم اللغو في الكلام والغضب وبذاءة اللسان...

د ـ أساليبه ووسائله :

لاشك أن الأساليب والوسائل التي يعتمدها المنهج التربوي الإلهي تختلف وتتنوع حسب الظروف والأحوال وحسب الأماكن والأزمان، وتبعاً لتنوع المستوى الثقافي والعقلي للمدعوين، فكل الأساليب والوسائل المتاحة في عصر من العصور يمكن اصطناعها وتسخيرها للوصول إلى الغاية مادامت لا تتعارض مع مقاصد الإسلام وأحكام الشرع، لأن الأصل في الأشياء الإباحة.

ومن الأساليب التربوية التي وردت في القرآن والسنة التوجيه نحو القدوة الحسنة، ولاشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوة كل مسلم، ثم الخلفاء الراشدون، ثم علماء التابعين والأئمة الأربعة المجتهدون في الدين.. قال الله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾(٥١).

ومن الأساليب التربوية الترغيب في الخير والثناء على فاعله وإكرامه مع بيان سبب التكريم، وإنه لفضله أو لعلمه أو لتقواه.. وكذلك الترهيب عن الشر، والذم لفاعله، ونصحه بالإقلاع عنه.

ومن الأساليب المهمة كثرة الصلاة والصوم والذكر لله تعالى، فإن العبد كلما اقترب من ربه بالعبادة، كلما حسنت أخلاقه، وظهرت عليه آثار العبودية.

وكذلك فإن مخالطة الصالحين تؤدي إلى الاقتباس منهم خلافاً للأشرار فإن مخالطتهم تفضي إلى اكتساب صفات السوء.

ومن الأساليب التربوية ملأ الفراغ بالعمل النافع والهوايات الجيدة التي ترفع مستوى الإنسان وتمكنه من إحسان التعامل مع الآخرين أو استثمار الطبيعة أو تقنية الصناعات التي يحتاجها المجتمع الإسلامي.

ويراعي المنهج التربوي الإلهي الفروق الفردية بين الناس، وقد بين الرسول صلى الله

---

(٥١) الأحزاب ٢١.

عليه وسلم اختلاف الاستعداد العقلي والقدرة على الفهم بين الناس فقال: «نضر الله أمراً سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»(٥٢).

ويراعي المنهج التربوي الإلهي أثر الأحوال النفسية والجسمية في تلقي العلم وأوصى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بمراعاة ذلك فقال: «إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها»(٥٣).

وقد ا ستخدم المسلمون كل الوسائل المتاحة من الأقلام والحبر والورق والسبورة، ولاشك أن تقنيات التعليم قد تطورت، فظهرت وسائل العرض الحديثة وأجهزة الرؤية والسماع وأجهزة الحفظ وتنظيم المعلومات، فلابد من الإفادة من هذه الأجهزة في التربية والتعليم، على أن يشرف على إعداد البرامج الثقات من أهل العلم.

ونظراً لأن المنهج التربوي الإسلامي متكامل وشامل لتربية الروح بالعبادات والعقل بالمعارف والجسم بالرياضات، فلابد من تنوع الوسائل لتحقيق التربية الإسلامية، وبالطبع لا مجال للابتداع في العبادات، ولكن المجال واسع بالنسبة للمعارف وتطبيقاتها، وبالنسبة لأنواع الرياضات، إذ يمكن التوسع والتنويع وعدم الاقتصار على أنواع المسابقات القديمة من سباقات الخيل والإبل والسباحة والمبارزة والمصارعة والجري والعدو، ويمكن الإفادة من الألعاب الجديدة التي تقوي الجسم وتنمي المهارات، كما يمكن الأخذ بنظم التغذية الحديثة لتقوية الأبدان، ولاشك أن المنهج التربوي الإلهي يؤكد على غرس العادات الثقافية والاجتماعية والصحية التي تكفل بناء المسلم القوي روحاً وعقلاً وجسماً.

هـ ـ خصائصه وفضائله :

١ ـ الربانية :

فالمنهج التربوي الإسلامي مستمد من الوحي الإلهي كتاباً وسنة، لذلك فإنه ينمو ويتطور ويكتسب الخبرات العملية الناجمة عن التطبيق في المجتمع الإسلامي ومؤسساته التعليمية والتربوية داخل دائرة الشريعة، ولا يسمح بالخروج على أحكام الإسلام ومقاصده في الهدف التربوي الأساسي، ولا في الأخلاق الثابتة بنصوص

(٥٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة في سننهم.

(٥٣) الخطيب : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ : ٣٣١.

الكتاب والسنة، ولا في الأسس التربوية المحكومة بنصوص الشرع، فهو منهج يتسم بالثبات في أصوله بالمرونة والتطور داخل دائرة الشرع.

فلا يمكن للمنهج أن يتخطى مبدأ الشورى، ولكنه يمكن أن يطور في وسائل تطبيقها وتوسيع دائرتها لتشمل مراحل الطفولة والشباب، ولتتعدى الحياة السياسية إلى مختلف جوانب الحياة.

٢ـ الإخلاص والنية :

هذه الخاصية تنبثق عن الخاصية الأولى، فالمنهج التربوي الإسلامي يهتم بإحياء القلب، وتوجيه النية في كل قول أو عمل إلى مقصد عال هو إرضاء الله تعالى وحده وإخلاص التوجه إليه، لأن العبادة في الإسلام لا تقتصر على الأركان الخمسة، بل تتعداها إلى كل عمل وقول أريد به وجه الله تعالى، والمسلم يتربى على استحضار النية في نشاطه ليكسب الأجر الأخروي إلى جانب المصلحة الدنيوية وشعاره: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾[٥٤].

٣ـ الشمول والتكامل :

إن المنهج التربوي الإسلامي ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة، فهو يراعي حاجات روحه ومشاعره، كما يراعي متطلبات عقله، وحاجيات جسمه، لتحقيق التوازن في حياته بحيث لا يطغى جانب على آخر، فليس في الإسلام رهبانية، وقد حرّم الوصال بالصوم، ومنع تعذيب الجسد بحجة تطويعه للروح.

والمنهج الإسلامي التربوي يؤكد على حقوق المسلم فيحفظ له الدين والحياة والعقل والمال والعرض، ويطلق الحرية للمسلم ليسعى نحو إحراز حقوقه وتحقيق تقدمه الاجتماعي والاقتصادي دون تدخل من الدولة، إلا إذا اعتدى على الحقوق العامة للمجتمع، أو تعارض نشاطه مع أحكام الشرع، لذلك فإن المنهج التربوي الإسلامي يعرِّف بهذه الأحكام تعريفاً عاماً يمكن المسلم من معرفة حقوقه وواجباته، فلابد إذن من تعريف الحلال والحرام والمندوب والمكروه والمباح، فالإسلام نظام شامل للحياة من نواحيها المختلفة، ومنهاجه التربوي يكون القائد المسلم، والجندي المسلم، وطالب العلم المسلم، والتاجر المسلم، والصانع المسلم، لأن تعاليمه فيها توجيه في مناحي الحياة جميعاً.

---

(٥٤) الأنعام ١٦٢ - ١٦٣.

وهو نظام شامل من حيث أنه يرعى الإنسان قبل مولده وهو جنين، إلى ما بعد وفاته، فهو يوجهه إلى ما يلزمه في آخرته.

ولا يجوز للمسلم أن يقبل بعض أحكام الإسلام ويرفض البعض الآخر، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾(٥٥).

و ـ مؤسساته:

١ ـ الأسرة:

يهتم المنهاج التربوي الإلهي بمتابعة التربية في داخل الأسرة منذ مولد الإنسان، فيأمر أباه باختيار الاسم الحسن له، ويأمر أمه بإرضاعه والعناية به، ويوصي بحسن التعامل بين الزوج والزوجة في ظلال المودة والرحمة لتهيئة البيئة الأسرية الصالحة لاحتضان الأولاد وتنشئتهم وفق المنهج التربوي الإلهي، فيتعود على أداء الصلاة منذ السابعة من عمره للحديث النبوي: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٥٦).

ويفسح للأطفال في اللعب وتنمية الهوايات النافعة، ويوجهون لاتخاذ الأصدقاء الطيبين، وتغرس فيهم روح التعاون مع الآخرين، والمحبة للأقران، والاحترام للكبار، وتحكي لهم الأخبار التي تحلي لهم الخير وتكرِّه الشر، ويحاول الأب اصطحاب الأولاد ما بين السابعة والعاشرة إلى المسجد ليعتادوا على ذلك منذ نعومة أظافرهم.

٢ ـ المسجد:

يعتبر المسجد البيئة الثانية التي تحتضن الأولاد بعد الأسرة حيث يتم التعرف وتكوين الصداقات والاستماع إلى الخطب والمواعظ ودروس تلاوة القرآن وحفظه وتجويده، ويتعود فيه الأولاد على حفظ نظافة المكان، والمشاركة في تهيئته للصلاة وللدروس.

وقد كان المسجد أول مدرسة في الإسلام خرّجت القادة الكبار والعلماء الجهابذة القضاة والمفتين.. وذلك قبل ظهور المدارس النظامية وبعدها.

---

(٥٥) البقرة ٨٥.

(٥٦) أبو داود: السنن ١: ٣٣٤.

٣ ـ المدرسة :

ظهرت المدرسة في تأريخ الإسلام منذ القرن الثالث الهجري، وانتظم فيها الطلبة يتعلمون علوم الدين والدنيا، وكان أغنياء المسلمين وقادتهم ينفقون على المدارس، وأحياناً كانت الدولة الإسلامية تنفق عليها، وتشرف على برامجها، وكان المدرسون يختارون من أفاضل أهل العلم، ويحظون باحترام وتقدير كبيرين لما للعلم والمعلم من قدسية في نظر المسلمين.

وقد اتخذت المدارس في المجتمعات الإسلامية الحديثة مناهج شاملة وسنوات متعاقبة تبلغ بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والإعدادية اثنتي عشرة سنة، وهي مدة كافية لتهيئة الطلبة للحياة العملية من حيث معرفة الأحكام الشرعية اللازمة ومعرفة المهارات والخبرات التي تمكنهم من التعامل مع البيئة المحيطة بهم، وبعد إنهاء الدراسة الإعدادية ينتقلون إما إلى الجامعة أو إلى المعاهد المهنية.

٤ ـ الجامعة :

ظهرت الجامعات الإسلامية في القرن السادس الهجري وتمثلت بالجامعة المستنصرية التي كانت تدرس العلوم الشرعية بمستوى عالٍ إلى جانب علوم الطب والهندسة..

وقد تطورت الجامعات الحديثة في العالم الإسلامي، وهي ذات فروع عديدة منها مايدرس العلوم الشرعية ومنها ما يدرس العلوم اللغوية والاجتماعية منها ما يدرس الطب والهندسة والصناعة والزراعة وغير ذلك من التخصصات القديمة والجديدة.

ومن المهم أن ينال أصحاب التخصصات المختلفة في الجامعات الإسلامية قسطاً مناسباً من العلوم الإسلامية إلى جانب العلوم البحتة والتطبيقية، فإنهم بذلك يستمرون في تقدمهم نحو بناء الشخصية الإسلامية للفرد والمجتمع، ويحافظون على استحضار النية وهم يتعلمون العلم فهم إنما يتعلمونه تقرباً إلى الله تعالى بزيادة علمهم وقدرتهم على خدمة المجتمع الإسلامي والارتقاء بالحضارة الإسلامية.